قيمة التكافل الاجتماعي في الفكر الإسلامي في أوقات الأزمات:

الباحثان

الباحث الأول

د. احمد محمد حميد الحربي.

مدرس دكتور

إمام وخطيب/ ديوان الوقف السني/ مديرية أوقاف ديالى

رقم الهاتف:

07711358370

hamad80alharbe@gmil.com

الباحث الثاني

د. رشاد أحمد فأضل.

تخصص فكر إسلامي

مكان العمل: تدريسي في كلية الامام الاعظم أبي حنيفة– العراق – سامراء

رقم الهاتف: 07709384927

البريد الالكتروني

aboaymaen1979@gmail.com

ملخص البحث

يتناول البحث قيمة التكافل الاجتماعي في الفكر الإسلامي في أوقات الأزمات من منظور الفكر الإسلامي، ومن خلال المبادئ والنظم التي شرّعها الإسلام للمجتمع؛ وذلك لأنّ قيمة التكافل اليوم له أثر على حياة الناس أفراداً وجماعاتٍ ولا سيما في أوقات الأزمات، من حيث معالجة أسباب الفقر والحرمان والبطالة، وتعزيز روح التعاون والتراحم والتآلف بين الناس، وستناول في هذا البحث مفهوم التكافل لغة واصطلاحاً، ومفهوم التكافل الاجتماعي كتعريف مركب، وسيركز البحث على أهمية التكافل في أوقات الازمات من حيث إنّه حاجة وفطرة إنسانية تظهر في أوقات الشدائد، ولاسيما نحن نمرّ بأزمة كورونا، الأمر الذي يستدعي تضافر الجهود للتكافل والتراحم، وسيركز أيضا على بعض المبادئ التي يقوم عليها هذا التكافل، وهي الكرامة الإنسانية والعدالة الاجتماعية والمساواة، وأيضاً سنتناول مجالات التكافل الاجتماعي، والتي تشمل الفرد من خلال تزكيته وكفالته لنفسه ومساعدته للآخرين، وكذلك الأسرة من خلال كفالة الأم والأب والابناء والأقارب، وكذلك كفالة المجتمع من خلال الدولة والمؤسسات المجتمعية والناس جميعاً، وأخيراً سيتناول البحث أهم النتائج التي سيخرج بها هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: التكافل الاجتماعي، المفهوم، المبادئ، المجالات.

qimat altakaful alaijtimaeii fi alfikr al'iislamii fi 'awqat al'azmat

mulakhis albahth

yatanawal mawdue altakaful alaijtimaeii fi alfikr al'iislamii fi 'awqat al'azamat min manzur alfikr al'iislamii , wamin khilal almabadi walnazam alty sharaeaha al'islam lilmujtamae ; wawasilat ruh altaeawun waltarahum waltawasul bayn alnaas , wawasil altakaful fi hadha albahth mafhum altakaful lughatan waistilahaan , wamafhum altakaful alaijtimaeii kataerif murakab , wasayarkaz albahth ean 'ahamiyat altakaful fi 'awqat al'azamat min hayth hajat waftarat 'iinsaniat tazhar fi 'awqat alshadayid , walasiamaan fima yataealaq bi'azmat kwrwna , al'amr aldhy yastadei 'iidafatah 'iilaa altaelimat waltakaful waltarahum , wabad' al'azamat alty taqum bi'iidafatiha 'iilaa altakaful. wakadhalak sanatanawal kilitakaful alaijtimaeii , waeam alfard min khilal tazakuyatih wakifalatih linafsih wamusaeadatah lilakhirin , wakadhlik al'usrat min kifalat al'umi wal'abi walaibina' , wakadhalik kifalat almujtamae min khilal aldawlat alty taktubuha walnaas jmyeana ,

wakhyraan sayatanawal albahth 'ahama alnatayij alty .sayukhrij biha hdha albahth

alkalimat almuftahiata: altakaful alaijtimaeiu , .almafhum , almabadi , almajalat

قيمة التكافل الاجتماعي في الفكر الإسلامي في أوقات الأزمات:

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على منهجهم الى يوم الدين.

إن قيمة التكافل الاجتماعي من المنظور الإسلامي قيمة تهدف الى نشر قيم البر والتعاون والخير بين الناس، وتهدف الى تنظيم علاقات الأفراد في المجتمع الإسلامي على قيم التآخي وتقوية الروابط الاجتماعية فيما بينهم، وتهدف الى تدعيم قضايا المسلمين والتضامن معهم، ولا سيما إذا جاءت قيمة التكافل في أوقات الازمات والمحن والفتن. وتبرز أهمية هذا البحث في كونه يعدّ حاجة إنسانية وقيمة أخلاقية ودينية تلبي حاجات النفس البشرية، والجماعات البشرية، من خلال الحاجة للعيش فيما بينهم متكافلين ومتراحمين، يساند بعضهم بعضاً.

وتظهر المشكلة في حاجة الناس اليوم الى التكافل والتراحم والتعاضد فيما بينهم، ولا سيما إذا جاء هذا التكافل في أوقات الأزمات والنكبات، ونحن نمرّ اليوم بجائحة كورونا التي تتطلب التكاتف فيما بين المسلمين والبشرية جمعاء لدفع الضرر والابتلاءات، وللتخفيف عن كاهل الفقراء والمعوزين والمظلومين.

وتهدف الدراسة الى معرفة مفهوم التكافل، وتحديد أهميته في أوقات الأزمات وبيان مبادئه ومجالاته، وتحديد مستويات التكافل وصوره وأشكاله، ومعرفة دوره في الحد من المشاكل الاجتماعية.

واعتمدنا في منهج البحث على المنهج التاريخي الذي نسوق فيه جملة من الحقائق والمعلومات التي تبيّن قيمة التكافل الاجتماعي في المجتمع الإسلامي، كما اعتمدنا على المنهج الاستنباطي في استخراج المبادئ والأحكام والأسس التي ينبني عليها نظام التكافل الاجتماعي.

وجاءت خطة البحث على الشكل الآتي:

1-المقدمة

2- مدخل الى التعريفات.

3-المطلب الأول: أهمية التكافل في أوقات الأزمات.

4-المطلب الثاني: مبادئ التكافل الاجتماعي.

5-المطلب الثالث: مجالات التكافل الاجتماعي.

6-الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

7-قائمة بأسماء المصادر والمراجع.

مدخل لتعريف التكافل الاجتماعي.

التكافل لغة: التكافل مصدر الفعل (تكفل) وهو مشتق من الفعل الثلاثي كَفَلَ ويأتي في اللغة على معانٍ عدة، نذكر منها:

1-الكِفْل: الحظّ من والضِّعف من الأجر والإثم.

2-الكافِل: القائم بأمر اليتيم المربّي له، وهو من الكفيل الضّمين، والضمير في له راجع الى الكافل أي أن اليتيم يتكّفل به الكافل سواء كان من ذوي رحمه وأنسابه أو كان أجنبياً[1].

3-الكفيل: الشاهد والحافظ والرقيب، قال تعالى: ﴿ ﴾[2]. أي شهيداً وقيل: حافظاً، ويقال: ضامناً[3]. وقيل: شاهداً بتلك البيعة رقيباً، راعياً بحال المكفول رقيباً عليه[4].

---

[1] ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ، 11/588-589. مادة: كفل.

[2] سورة النحل، من الآية: 91.

[3] ينظر: الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م، 10/170.

[4] ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ، 3/238.

التكافل اصطلاحاً: جاء في موسوعة علم الاجتماع التساند أو التكافل هو: ((العلاقات بين الوحدات الاجتماعية في الزمان والمكان والنوع))[5].

وجاء التكافل أيضاً بمعنى: تبادل الإعالة والنفقة والمعونة، والرعاية والتحمّل، ومنه تكافل المسلمين؛ أي رعاية بعضهم بعضاً بالنصح والنفقة وغير ذلك[6].

تعريف مفهوم التكافل الاجتماعي اصطلاحاً.

يوجد عدة تعريفات لمفهوم التكافل الاجتماعي نذكر منها:

1- عرّفه محمد أبو زهرة: ((يقصد بالتكافل الاجتماعي في معناه اللفظي أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم، وأن يكون كل قادر أو ذوي سلطان كفيلاً في مجتمعه يمده بالخير، وأن تكون كل القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد، ودفع الأضرار، ثم في المحافظة على دفع الأضرار عن البناء الاجتماعي وإقامته على أسس سليمة))[7]. وفي هذا التعريف يتضح أن التكافل الاجتماعي جاء باعتباره

---

[5] ينظر: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، 1982، ص222. 418.

[6] ينظر: معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1988م،ص142.

[7] التكافل الاجتماعي في الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1991م، ص7.

عمليـــة رعايـــة الفـــرد المحتـــاج أو المتضـــرر مـــن قبـــل المجتمـــع والدولة، لضمان التماسك بين المجتمع على أسس سليمة.

2-التكافـــل الاجتمـــاعي هـــو: ((تعـــاون أبنـــاء المجتمـــع فـــرادى وجماعـــات علـــى تحقيـــق الخيـــر ودفـــع الجـــور))[8] . وهـــذا التعريـــف يـــدل علـــى اعتبـــار التكافـــل الاجتمـــاعي عمليـــة تعـــاون وتســـاند بـــين أفـــراد المجتمـــع في وجوه الخير العامة، والتعاون فيما بينهم على دفع الظلم.

وبعـــد هـــذه التعريفـــات لمفهـــوم التكافـــل الاجتمـــاعي يتضـــح لنـــا أنّ التكافـــل الاجتمـــاعي: قيمـــة وحاجـــة إنســـانية تقـــوم علـــى التـــراحم والتعاضـــد والتســـاند بـــين الفـــرد والمجتمـــع فـــي نشـــر الخيـــر ودفـــع الظلـــم عـــن طريـــق الوســـائل الماديـــة والمعنويـــة مـــن أجـــل تحقيـــق حيـــاة فضـــلى وســـعيدة للمجتمعات الإنسانية.

المطلب الأول: أهمية التكافل في وقت الازمات.

للتكافـــل الاجتمـــاعي أهميـــة كبـــرى فـــي المنظـــور الإســـلامي مـــن حيـــث إنّـــه يعـــدّ حاجـــة إنســـانية، لأنّ الإنســـان بـــه حاجـــة دائمـــة الـــى أخيـــه الإنســـان، ولأن الإنســـان بطبعـــه كائنـــاً اجتماعيـــاً لا يســـتطيع العـــيش وحـــده مـــن غير أن يأنس بالمجتمع الذي يحيط به.

وتظهر أهمية التكافل الاجتماعي في الأمور الآتية:

1-التكافـــل تشـــريع ربـــاني: لـــم يكـــن التكافـــل الاجتمـــاعي فـــي المنظـــور الإســـلامي وليـــد تجـــارب إنســـانية بشـــرية فرضـــته فرضـــاً، كمـــا هـــو

---

[8] التكافل الاجتماعي في الفقه الإسلامي مقارن بنظام المملكة العربية السعودية، عبد الله محمد الطيار، مكتبة المعارف، الرياض، د ط، 1406هـ، ص20.

في باقي النظم الوضعي التي تسود العالم، بل هو نظام رباني يرتكز على بناء فكري متكامل، له أساسه من العقيدة الإسلامية، ومن المنظومة الأخلاقية الإسلامية، يقوم على فكرة متقدمة، تتجاوز مجرد التعاون بين الناس أو تقديم وجه المساعدة وقت الضعف والحاجة، وإنّما يستمد تشريعه في الإسلام من مبدأ الولاية المتبادلة بين المؤمنين في المجتمع، قال تعالى: ﴿□ □ □ □ □□ □ □ □ □ □ □ □ نى ني □ ير □□ ين □ □□ □ □ □ □ بج﴾[9].[10].

فالروابط الاجتماعية التي تحكم المجتمع الإسلامي روابط تحكمها عقيدة التوحيد الصحيحة، التي تجعل من المجتمع المسلم مجتمعاً متماسكاً يتحقّق فيه الاستقرار، فهو مجتمع منظّم، يحتكم في جميع أموره الى قوانين إلهية ودستور رباني خالص، أساسه ومصدره وحي الله الى نبيه ﷺ.

((وعقيدة التوحيد هذه – بكل اشعاعاتها – تسيطر سيطرة تامة على كل جوانب النظام الاجتماعي الإسلامي؛ وتحدّد كلّ مقوّماته وخصائصه الأخرى؛ وتفسّر كثيراً من المشاعر والآداب والأخلاق والمعاملات، والحقوق والواجبات، والعلاقات

---

[9] سورة التوبة، الآية: 71.

[10] ينظر: حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ، ص81–82.

والارتباطات في هذا النظام، وفي كل صورها وأشكالها))[11].

وعليه فالتكافل الاجتماعي في الإسلام يستمدّ خصائصه من الشريعة الإسلامية، فهو نظام رباني يتميز بالشمول والوسطية والواقعية والوضوح، فيشمل تنظيم العلاقات الاجتماعية من خلال ربط الفرد بالدولة، وربط الدولة بالجماعة، وربط الأسرة بذوي القرابات، وربط الناس بعضهم ببعض، ويشمل تنظيم المعاملات المالية، والعلاقات الاقتصادية، والضوابط الخلقية، بل يمكن أن يشمل نظام التكافل في الإسلام التشريع الإسلامي كلّه؛ لأن غايته هو إصلاح أحوال الناس، وأن يعيشوا آمنين مطمئنين على عقائدهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وأن يحقّق لهم السلام والاستقرار، وأسباب العيش الرغيد والأفضل[12].

2-التكافل فطرة في المخلوقات: حاجة البشر والناس الى التعاون والتراحم فيما بينهم فطرة أودعها الله ﷻ مخلوقاته، كما يعدّ سلوكاً إنسانياً قديماً قدم البشرية، إذ الحاجة الى التكافل والتعاون يستجيب له المخلوق من غير ادراك لمغزاه أو التفكير في دوافعه، وتميز الإنسان عن غيره من المخلوقات هو الوعي بهذه القيمة من خلال فهم أسرار هذه الفطرة التكافلية وتهذيبها والانتفاع بها بما وهبه الله

---

[11] نحو مجتمع إسلامي، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، د ط، د ت، ص143.

[12] ينظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، ص16-17.

من عقل وقدرة على التفكير، الأمر الذي ولّد فيه شعوراً بأنّه جزء من جماعة وليس فرداً منعزلاً عنهم[13].

وعليه فالإنسان ((اجتماعي بفطرته وغريزته، فالبشر لا يعيشون إلّا مجتمعين، يأنس بعضهم ببعض، ويتوادّون، ويتراحمون، ويسخّر بعضهم بعضاً، لتتمّ وتستمرّ حياتهم؛ لأنّ الفرد البشري لا يستطيع وحده أن يستكمل كلّ ما يحتاجه لحياته من الضروريّات كالمسكن، والمأكل، والدفاع عن النفس، ونحو ذلك))[14].

ومن الأمثلة على التكافل الفطري في المجتمعات الإنسانية، ظاهرة العمل التطوعي، وهي ظاهرة اجتماعية موجودة في كل المجتمعات منذ أن خلق الله ﷻ البشرية، تزيد في أوقات الكوارث والفتن والأزمات والحروب، ونجد لهذه الظاهرة شواهد من القرآن الكريم، فهذا سيدنا موسى عليه السلام قام بعمل تطوعي لوجه الله من غير أن يطلب أجراً على ذلك – مع أنّه كان بأمس الحاجة لهذا الأجر – وإنّما ابتغى الأجر والثواب من الله، وذلك عندما أغاث الفتاتين من خلال سقي الأغنام لهما، إذ قال تعالى:ﱡ نم نى □ □ □ □ □ □ □ يم يى □ □□ □ ٌّ ٍّ ُّ ِّ ّٰ □ □ □□ □ □ بر □ □ بن بى بي تر □ □ تن تى تي □ □ □ □ □ □ ئز [15]. وهذا العمل التطوعي العظيم الذي قام به سيدنا موسى عليه السلام عمل لا يفعله إلّا الرجال ذوو الشهامة، إذ قام بهذا العمل وهو غريب في

---

[13] ينظر: التربية التعاونية من منظور إسلامي وتطبيقاتها التربوية، طلال عقيل عطاس الخيري، رسالة ماجستير جامعة أم القرى مكة المكرمة، كلية التربية – قسم التربية الإسلامية والمقارنة، السعودية، 1424– 1425هـ، ص30–31.

[14] التربية الاجتماعية في الإسلام، عبد الرحمن النّحلاوي، دار الفكر، دمشق، 1427هـ، ص19.

[15] سورة القصص، الآيتان: 23–24.

أرض لا يعرفها، ولا سند له فيها ولا ظهير، وهو متعب قادم من سفر طويل بلا زاد ولا استعداد، وهو مطارد، من خلفه أعداء لا يرحمون، ومع ذلك كلّه لم يقعد به عن تلبية دواعي المروءة والنجدة والمعروف، وإقرار الحق الطبيعي التي تعرفه النفوس[16].

وهكذا نجد أنّ التكافل والتراحم في أوقات الازمات والكوارث تعد حاجة وفطرة إنسانية؛ إذ إنّ الفطرة السليمة في الإنسان السويّ تدفعه لإغاثة الملهوف ونصرة المظلوم والتعاون مع مجتمعه لمساندة ومساعدة المنكوبين والضعفاء، وفعل الخير ودفع الشر، وكل هذه الأمور يؤيدها الإسلام ويحثّ عليها، وذلك لأنّه دين الفطرة وكل تشريعاته وأحكامه جاءت مسايرة لهذه الفطرة.

3-ضرورة التكافل الاجتماعي في أوقات الأزمات: تبرز قيمة التكافل الاجتماعي في أوقات الأزمات والنكبات من خلال الحرص على جعل المجتمع المسلم مجتمعاً متماسكاً متآزراً متراحماً يشدّ بعضه بعضاً، وذلك عن طريق الحثّ المتواصل لأفراده على خدمة بعضهم البعض، وتفريج كرب إخوانهم المسلمين، ومساعدتهم في أوقات الضيق والمحن والشدائد، وإدخال السرور على أنفسهم، وفي هذا قال رسول الله ﷺ {مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ

[16] ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت – القاهرة، ط17، 1412هـ، 2686/5.

مَثَلُ الْجَسَدِ إذا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى}[17].

وإنّ التراحم والتكافل بين أبناء المسلمين فيما بينهم يساهم في رفع البلاء العام عن الأمة المتراحمة والمتكافلة، ويخفف عنها الآثار والجوائح والكوارث التي تعصف بها، وكل هذا يكون بقدر ما تلتزم بتعاليم الشرع الحنيف، وهدي النبي ﷺ، وفي هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً: {مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ فِى عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِى عَوْنِ أَخِيهِ...}[18]. ولهذا الحديث دلالة على فضل التكافل بين المسلمين ومساعدة بعضهم بعضاً والسعي في قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسّر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك[19].

---

[17] الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة . بيروت، د ط ، د ت. ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث 6751، 20/8.

[18] المصدر السابق، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، رقم الحديث: 7028، 71/8.

[19] ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392م، 21/17.

وقال ابن تيمية في إغاثة الملهوف: ((... ثم كلّ نفعٍ وخيرٍ يوصّله الى الخلق هو من جنس الزكاة. فمن أعظم العبادات سدّ الفاقات وقضاء الحاجات ونصرة المظلوم وإغاثة الملهوف))[20].

فالمجتمع هو الذي تتعمق فيه قيمة التكافل الاجتماعي من خلال تعميق ممارسة معاني الود والرحمة والإيثار والتضحية، فالمسلمون في توادهم وتراحمهم جسد واحد ألّف الله بين أعضائه بنعمته بعد أن كانوا أعداءً، وضرب المسلمون الأوائل أروع الأمثلة في ممارسة التكافل الاجتماعي والإيثار مع الحاجة الى التضحية في سبيل الغير، فقد كان أصحاب رسول الله ﷺ ترسل إليهم الأموال الكثيرة فيوزعونها على المحتاجين وينسون أنفسهم وهم أحوج ما يكونون إليها، وكانوا رحماء فيما بينهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً[21].

المطلب الثاني: مبادئ التكافل الاجتماعي:

يتميز الفكر الإسلامي بأنّه واضح المعالم والغايات، حيث يسعى لتحقيق أهدافه وفق مبادئ راسخة مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن أبرز هذه المبادئ والقيم:

المبدأ الأول: الكرامة الإنسانية: التكافل الاجتماعي مبدأ مبني على الكرامة الإنسانية، وله دوائر متعددة، فالإسلام ينظر الى الإنسان

---

[20] مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، د ط، 1995م، 243/28.

[21] ينظر: بيئات التربية الإسلامية، عباس محجوب، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط12، العدد 46، ربيع الآخر – جمادى الأولى – جمادى الثانية، 1400هـ، ص117.

باعتباره خليفة الله في أرضه، وذلك من خلال تكريمه وتميزه عن باقي مخلوقاته، قال تعالى:﴿ ﴾[22].

يسمو التشريع الإسلامي على كل النظم الوضعية والإنسانية من خلال إثباته لمبدأ الكرامة الإنسانية التي تشمل الناس جميعاً، بقطع النظر عن أديانهم وأعراقهم وأجناسهم، هذه الكرامة التي ضمنت حق الناس جميعاً في الحياة والعقيدة والعلم والعيش، فهي للناس جميعاً، ومن واجب الدولة أن تكفلها لهم على قدم المساواة بلا استثناء[23].

وتترتب على هذه الكرامة الإنسانية في الإسلام هي أنّ العلاقة بين البشر علاقة مودة ورحمة، فهي أساس العلاقات الإنسانية كلّها، فالمودة هي القانون الإنساني الشامل لكل العلاقات الإنسانية من حيث إنّها تربط كل من في الأرض من بني البشر، سواء أكانت هذه العلاقة على مستوى الأسرة أم على مستوى الجوار أم على مستوى المجتمع الصغير أو الكبير أو المجتمع الإنساني العام[24].

وينتقل هذا التكافل فيصل الى جميع ألوان الطيف الإنساني؛ إذ قال تعالى:﴿ ﴾[25]. وفي هذه الآية دلالة على البرّ بغير

---

[22] سورة الإسراء، الآية:70.

[23] ينظر: مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، مصطفى بن حسني السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1999م، ص99.

[24] ينظر: التكافل الاجتماعي في الإسلام، عبد العال أحمد عبد العال، ص36.

[25] سورة الممتحنة، الآية:8.

المسلمين الذين لم يقاتلونا من خلال إكرامهم والإحسان إليهم قولاً وفعلاً، والقضاء إليهم بالقسط والعدل وعدم ظلمهم[26].

ومن صور البر والقسط في معاملة غير المسلمين هو السعي في إغاثة الملهوف ونصرة المظلوم وإعانة فقيرهم وحفظ مصالحهم المادية والمعنوية، وفي هذا يقول القرافي في بيانه للبر والعدل المأمور به في معاملة غير المسلمين فقال: ((وأمّا ما أمر به من برهم ومن غير مودة باطنية فالرفق بضعيفهم وسدّ خُلّة فقيرهم وإطعام جائعهم وإكساء عاريهم ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة لا على سبيل الخوف والذلة واحتمال أذيتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفاً منّا بهم لا خوفاً وتعظيماً والدعاء لهم بالهداية وأن يُجعلوا من أهل السعادة ونصيحتهم في جميع أمورهم وعيالهم في دينهم ودنياهم وحفظ غيبتهم إذا تعرّض أحد لأذيّتهم وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم وإيصالهم لجميع حقوقهم...))[27].

وبهذا تقرر أنّ التكافل الاجتماعي في الإسلام مبدأ عام شامل لجميع الناس، مسلمين وغير مسلمين، فلا يجوز أن يبقى في المجتمع الإسلامي إنسان محروم من الطعام أو الكسوة أو المأوى

---

[26] ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998م، 469/3.

[27] الفروق – أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، عالم الكتب، د ط، د ت، 15/3.

أو العلاج، فإنّ دفع الضرر عنه واجب ديني وأخلاقي، مسلماً كان أو ذمياً[28].

واعتنى الإسلام بالنفس الإنسانية وكرّمها ومنع الاعتداء عليها، وجعل الاعتداء عليها اعتداء على الإنسانية جميعاً، واعتبر أنّ إنقاذ هذه النفس هو إنقاذ للجميع، قال تعالى:ﱡ ﱠ[29]. وعليه فلا بدّ على المجتمع الإنساني العمل بكل الوسائل والطرق لإنقاذ وإغاثة النفس البشرية في حالات الأزمات والكوارث والحروب، وأن يتعاونوا على البر والقسط والخير تعاوناً غير محدود.

وهذا التعاون والتكافل بين الناس جميعاً يكون في كلّ وجوه الخير المادية والمعنوية من خلال التعاون المادي الإقليمي، وذلك بأن يفيض أهل كل إقليم على الآخر بالزائد من حاجته من الطعام وما يحتاج إليه الإنسان، بل ينبغي أن يفيض أهل كل إقليم بما عندهم من أغلى الثروات وهو القوى الإنسانية العاملة التي تستخرج من الأرض كنوزها وتعمل بالصناعات على تحويله الى ما يفيد البشرية كله[30].

---

[28] ينظر: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1992م، ص17.

[29] سورة المائدة، من الآية: 32.

[30] ينظر: المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1981م، ص55.

وهـذه الكرامـة الإنسـانية فـي الإسـلام جـاءت لخيـر البشـرية وسـعادتها، فالأمـة الإسـلامية ((أمـة لا تعـيش لنفسـها، ولا لهـمّ يومهـا، ولا لمـلء بطنهـا، بـل تعـيش لغيرهـا، وتحمـل علـى كاهلهـا هـمّ البشـرية المعذبـة، والإنسـانية الحـائرة، فهـي أمـة ذات رسـالة عالميـة، لـم تنبـت مـن ذاتهـا، بـل أنبتهـا الله، ولـم تخـرج كنبـات البريـة، بـل أخرجهـا الله، ولـم يُخرجهـا لنفسـها، بـل أخرجهـا للنـاس، وأرسـلها برسـالة نبيهـا رحمـة للعـالمين، وهداية للناس أجمعين))[31].

قـال تعـالى: ﴿ ﴾[32].

فنصـرة الأمـم والشـعوب المقهـورة والمضـطهدة ضـدّ حكّامهـا المسـتبدين هـي مـن أساسـيات هـذه الشـريعة الغـرّاء؛ إذ يعـدّ أنّ مـن مقاصـد الجهـاد فـي الشـريعة الإسـلامية تحريـر الشـعوب التـي يحكمهـا الطواغيـت، مـن نير التسلط والجبروت التي تقع عليها[33].

المبـدأ الثـاني: مبـدأ العدالـة الاجتماعيـة: إنّ تحقـق العدالـة الاجتماعيـة مـن أهـم القضـايا التـي توحّـد كيـان المجتمـع وتقـوي دعائمـه، ومتـى ظهـرت هـذه العدالـة فـي أمـة مـن الأمـم، كـان ذلـك أدعـى الـى التكافـل الاجتمـاعي والتـراحم والتعـاون بـين النـاس، وتحقـق هـذه العدالـة

---

[31] ينظر: الإسلام حضارة الغد، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1995م، ص190.

[32] سورة آل عمران، من الآية: 110.

[33] ينظر: فقه الجهاد – دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، د ط، 2009م، 1/68-69.

بالمساواة، والموازنة بين الفردية والجماعية. وتحقق العدالة بين أفراد المجتمع.

والإسلام ساوى بين الجنس البشري، ونقلهم من الدوائر الضيقة العنصرية، والقومية، والإقليمية، والطبقية، إلى أجواء فسيحة مملوءة بالتآخي، والتوادّ، والتراحم، والتسامح في الحقّ، والتعاون على البر والتقوى، والأخذ على يد الظالم مهما بلغت درجة قرابته، أو عظمت مودته وقرابته، والتعاون على نصرة المظلوم مهما بعدت درجة قرابته أو اشتدت كراهيته وعدواته[34].

وقرّر الإسلام مبدأ المساواة بين الناس في أصل الخلقة والفطرة، وجعل التقوى والعمل الصالح هو معيار التفاضل بين البشر، فلا فضل لعربي ولا أعجمي إلّا بالتقوى، قال تعالى: ﴿ ﴾[35]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معززاً المساواة بين البشر في بيان واضح: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا

---

[34] ينظر: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي حَبَنَّكَة، (المتوفى: 1425)، دار القلم، دمشق، ط1، 1998م، ص 137.

[35] سورة الحجرات، الآية: 13.

لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى}[36].

المبدأ الثالث: التعاون الجماعي: يعد التعاون على البر والتقوى وعلى أعمال الخير من أبرز مطالب تحقيق التكافل الاجتماعي التي تسعى إليه المجتمعات، وذلك ليتساندوا فيما بينهم على تعزيز المواقف الايجابية والفاعلة تجاه حلّ مشكلات المجتمع وحاجاته كالقضاء على الفقر والمحافظة على الممتلكات العامة، ولا سيما التعاون والتعاضد والتراحم في وقت الأزمات.

فالإنسان لا يمكن له أن يستقل بحياته منفرداً، فعلى الرغم من وجود النزعة الفردية لدى الإنسان التي تدفعه الى تحقيق ذاته، ولكن توجد في فطرته منزع أخر، وهو الجانب الاجتماعي الذي يدفعه الى التآلف والتعاون والتكامل البشري مع الآخرين، وعلى هذا جاء الإسلام ليؤكّد هذه الحقيقة العظيمة، وهو أن البشر يكمل بعضهم بعضاً ويستفيد بعضهم من بعض، وهذا ما جاءت به النصوص الشرعية التي تحثّ على التعاون على البر والتقوى وترك التعاون

---

[36] رواه الأمام أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ ـ 2001م، 474/38، باب حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ، رقم الحديث 23489. وعلق عليه شعيب الأرناؤوط في مسند الأمام أحمد بقوله: ((إسناده صحيح)).

علـــى الإثـــم والعـــدوان كثيـــرة، قـــال تعـــالى:ﱡﭐ □ □ □ □ □□ □
□ □ □ □□ □ □ لج لح لخ لم لهمج ﱠ[37].[38].

وفـي هـذه الآيـة تأكيـد وأمـرٌ لجميـع الخلـق بـأن يتعـاونوا فيمـا بيـنهم علـى البـر والتقـوى، وأن يُعـين بعضـهم بعضـاً[39]. وفيـه أنّ الله ﷻ نـدب الـى التعـاون بـين النـاس علـى البـرّ وقرنـه بـالتقوى لـه، وذلـك لأنّ فـي التقـوى رضـا الله ﷻ، وفـي البـرّ رضـا النـاس، وعليـه مـن جمـع بـين رضـا الله تعالى ورضا الناس فقد تمّت سعادته وعمّت نعمته[40].

المطلب الرابع: مجالات التكافل الاجتماعي:

التكافـل الاجتمـاعي لـه تطبيقـات واسـعة ومتعـددة ومتواصـلة، مـن أبـرز هـذه التطبيقـات للتكافـل الاجتمـاعي هـذه التـي تتعلـق فـي دور الفرد والأسرة والمجتمع. ولهذا تضمن هذا المبحث ثلاثة محاور:

المحـــور الأول: تكافـل الفـرد وذاتـه: التكافـل الاجتمـاعي يحمـل الفـرد المسؤولية عن نفسه وتكافله معها، وذلك من خلال الآتـي:

1-تزكيـة الـنفس: يعنـى الإسـلام بالتكافـل أن يكـون نظامـاً لتربيـة الفـرد وضـميره وشخصـيته، ويجعـل مـن الفـرد المسـلم مسـؤولاً عـن نفسـه؛

---

[37] سورة المائدة، من الآية:2.

[38] ينظر: التعايش السلمي في إطار التعددية المذهبية داخل المجتمع المسلم وتطبيقاته التربوية في الأسرة والمدرسة، مزنة بريك مبارك المحلبدي، ص62.

[39] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، عالم الكتب، الرياض، دط، 2003م، 46/6.

[40] ينظر: أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار مكتبة الحياة، د ط، 1986م، ص182-183.

وذلك بأن يزكيها ويطهرها، ويكفها عن شهواتها، ويترصد لها إذا هفت الى غواية، والنفس مستعدة للفجور والتقوى، وأنّ على صاحبها أن يختار الطريق وعليه تبعة ما يختار[41]،ٹآآآآ□□ □□□□بر□□بنبيبيتر□□تنتيّ[42].

وعنى الإسلام بالدرجة الأولى بتزكية النفس وتهذيبها، وذلك من خلال تطهيرها من نزعات الشر والإثم، وإزالة حظ الشيطان منها، وتنمية فطرة الخير فيها، وبهذا تغدو النفس صالحة لغرس الأخلاق الفاضلة فيها، وتهذيب طباعها تهذيباً مصلحاً ومقوماً وكابحاً لغرس الفاضل فيها، وبتهذيب النفس يصبح المناخ النفسي مهيّئاً لتفجر منابع الخير[43].

ولذا لابدّ للمسلم أن يعدّ نفسه إعداداً تربوياً وعملياً، وذلك من خلال اتباع صياغة حضارية متكاملة شاملة من جميع النواحي العقدية والخلقية والفكرية والمادية والذوق، ولا بدّ أن تكون التربية منذ طفولته وحتى كهولته، ليصبح المسلم صاحب رسالة، مساهماً في نهضة أمته، – وكلّ وفق موقعه ومركزه – وحريصاً على إتقان عمله والإبداع فيه؛ ليزود أمته دائماً بكل ما هو جديد[44].

---

[41] ينظر: التكافل والضمان الاجتماعي في الإسلام، سعيد عبد السلام حبيب، كتب إسلامية، العدد 32، المجلس الأعلى للشؤون، القاهرة، 1963م، ص17.

[42] سورة الشمس، الايات: 7-8-9-10.

[43] ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط5، 1999م، 39/1.

[44] ينظر: الإسلام والتنمية الاجتماعية، محسن عبد الحميد، دار المنارة، جدة – السعودية، ط1، 1989م، ص132.

2-حفظ النفس: إنّ الواجب على المسلم أن يحافظ على نفسه ويصونها ويحميه من كل ما يؤذيها من سوء ومكروه، فلا يعرضها للقتل أو الضعف أو التعذيب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[45].

فحفظ النفس من مقاصد الشرع الكلية ومقاصده الضرورية، فقد أحاطته الشريعة بما يحفظ هذه النفس، وبما يمنع النيل منها في إطارات كلية وجزئية، يحرم دم المسلم أو أي عضو منه، وعصمته، فلا يجوز الاعتداء عليه بقتل، أو خدش فأكثر، ولا يجوز أن يقتل نفسه ولا العبث ببدنه، والتصرف فيه بما يضره ولا ينفعه كالخصاء، والوسم، والوشم، ونحوه[46].

3-كفاية النفس: إنّ من أهم واجبات المسلم نحو ذاته هو كفايتها والاستغناء عن المسألة والتوكل على الله، والحرص كل الحرص على توفير متطلبات هذه الكفاية من خلال إشباع حاجاته المشروعة من طعام وشراب وملبس، وغير ذلك من وسائل العيش الأخرى، والعمل على أن يعزّ نفسه ويكرمها من خلال إعفاء النفس عن السؤال، وجعل يده العليا في الإنفاق من خلال السعي في طلب الرزق[47].

---

[45] سورة النساء، من الآية:29.

[46] ينظر: فقه النوازل، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى : 1429هـ)، مؤسسة الرسالة، ط1، 1996م، 30/2.

[47] ينظر: التكافل الاجتماعي في القرآن الكريم، تحليل اقتصادي وفقهي، ربيع محمد الروابي، مركز صالح كامل، القاهرة، د ط، 1419هـ، ص60.

فعلى الفرد المسلم أن يعين نفسه من خلال العمل والكسب الحلال، ليستطيع بعدها أن يتصدق وينفق في سبيل الله، ويصنع المعروف، فقد جاء في الحديث الشريف عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جدّه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ فَقَالُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ يَعْمَلُ بِيَدِهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ قَالُوا فَإِنْ لَمْ يَجِدْ قَالَ فَلْيَعْمَلْ بِالْمَعْرُوفِ وَلْيُمْسِكْ عَنْ الشَّرِّ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ}[48].

4-المسؤولية الفردية تجاه الاخرين: من صور التكافل الاجتماعي للفرد المسلم هو عدم اقتصاره على نفسه من خلال حفظها وكفايتها، بل يتجاوز هذا التكافل الى الأفراد والجماعات بقيامه بالحقوق والواجبات تجاه مجتمعه وأمته.

فالإسلام لا يتصور من الفرد المسلم أن يكون إنساناً منعزلاً عن المجتمع، فلا يتصور الإسلام منه أن يكون منعزلاً في خلوة، أو راهباً في صومعة، بل يتصوره مندمجاً مع الجماعة دائماً، حتى في عبادته لربه، فقد دعاه الى أن تكون صورة جماعية، ومن هنا جاء التأكيد على أهمية دور المساجد في تعزيز جانب العبادة الجماعية[49].

---

[48] الجامع المسند الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة، د م، ط1، 1422هـ، باب: من انتظر حتى تدفن، رقم الحديث: 1445، 115/2.

[49] ينظر: الحل الإسلامي فريضة وضرورة، يوسف القرضاوي، سلسة حتمية الحل الإسلامي (2)، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، 1974م، ص62.

وتكون هذه المسؤولية من خلال أداء ما يجب عليه من نفقة على عياله وأقاربه ورحمه، وبذل الزكاة والصدقات والمبرات لمستحقيها، وإنّما القوة المالية لجماعة المسلمين، والمساهمة في القوة الدفاعية التي تصدّ أعداءهم، والمساهمة في نشر الدعوة الإسلامية على أوسع نطاق، عن طريق العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك من وجوه الخير الأخرى[50].

والفرد المسلم عضو في ومجتمعه لا يستطيع أن ينفصل عنه، فهو يأخذ منه ويعطيه، ويستفيد منه ويفيده، له حقوق وعليه واجبات، فلا ينبغي أن يأخذ ولا يعطي، وأن يستهلك ولا ينتج، فالإسلام يغرس في نفس المسلم وعقله حب الجماعة والشعور بها، ينبغي عليه أن يقدّم له من نفسه وماله ومواهبه وقدراته كل ما يعود عليه بالنفع والخير، وكل ما يدفع عنه الضرر والشر[51].

ومن صور مسؤولية الفرد المسلم تجاه أخوته ومجتمعه في نصرتهم ودفع الضرر عنهم، قرر الفقهاء أنّ على المسلم قطع صلاته لإغاثة الملهوف أو خوف على أجنبي أن يسقط من سطح أو يغرق أو يحرق ونحوه[52].

---

[50] ينظر: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط1، 1998م، ص211.

[51] ينظر: الإسلام حضارة الغد، يوسف القرضاوي، ص173-174.

[52] ينظر: شرح فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي (681هـ)، دار الفكر، بيروت، دط، دت، 418/1.

المحـــور الثـــاني: تكافـل الأسـرة: اعتنـى الإسـلام بالأسـرة أعظـم عنايـة مـن خـلال تقويتهـا، وتنظـيم المعـاملات فيهـا عـن طريـق النفقـة والـزواج والميـراث وتربيـة الأولاد فيهـا، وبـذر بـذور التكافـل والمحبـة والإيثـار والرحمـة بيـنهم، لأن تقويـة الأسـرة وضـبط أطرافهـا تقويـة للمجتمـع وضـبطاً لحركتهـا، ونشـر للقـيم الإنسـانية والاجتماعيـة الرفيعـة بـين أبنائه، حتى يبتعد عن الفوضى والتصادم والتحلل الخلقي[53].

ومـن صـور التكافـل الاجتمـاعي فـي الإسـلام، مـا شـرّعه الله مـن وجـوب إنفـاق القريـب الغنـي علـى الأقـارب الفقـراء، وذلـك بإنفـاق الـزوج علـى الزوجـة، والأب علـى الأبنـاء، ونفقـة الولـد القـادر علـى الوالـدين الفقيـرين، ونفقـة الأخ الـذي يـرث علـى أخيـه الفقيـر أو المحتـاج، وقـد وسّـع بعـض الفقهـاء فـي شـأن نفقـة الأقـارب، حتـى تصـل الـى ذوي الأرحام[54].

لـذا يجـب علـى الإنسـان أن ينفـق ويكفـل أقاربـه إذا كـانوا محتـاجين، كالآبـاء والأجـداد والأبنـاء وفـروعهم، واختلـف الفقهـاء فـي كفايـة الأخـوة والأعمـام والعمّـات الأخـوال والخـالات، فقـد أوجـب الحنفيـة الإنفـاق علـى كـل ذي رحـم محـرم كـالعمّ والأخ وابـن الأخ والعـمّ والخـال، وألـزم

---

[53] ينظر: الإسلام والتنمية الاجتماعية، محسن عبد الحميد، ص72.

[54] ينظر: حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الله عبد المحسن التركي، ص89.

الحنابلة النفقة لكل قريب وارث بفرض أو تعصيب كالأخ والعمّ وابن العمّ، ولا تجب لذوي الأرحام كبنت العمّ والخال والخالة[55].

المحور الثالث: تكافل المجتمع: إن مبدأ التكافل الاجتماعي هي إحدى سمات المجتمع المسلم ودعائمه التي يقوم عليها، إذ يتجلى هذا التكافل من خلال المحورين الأساسيين:

1- الروابط الاجتماعية العامة: إنّ التكافل الاجتماعي يتميز في المجتمع المسلم من خلال روابطه الإنسانية الوطيدة، وعلاقاته الاجتماعية الراسخة، وهذه الروابط أساسها الإيمان بالله وحده والإحسان الى عباده، وعملت الشريعة الغرّاء على تعزيز هذه الروابط والعلاقات في المجتمع المسلم حتى أصبح المجتمع أسرة واحدة.

وعليه فإن واجب الدولة أن تقوم بالإشراف على أداء الأغنياء لفرض الزكاة ووجبات التكافل الاجتماعي الأخرى، وإيجاد فرص عمل للعاطلين، ومنع الأساليب المحرّمة والغير مشروعة في الجوانب الاقتصادية، كالربا والغش والاحتكار، والقيام بالمشروعات التي يعجز عنها أفراد الأمة[56].

---

[55] ينظر: الفقه الإسلامي وأدلته (الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها)، وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق – سوريا، ط4، دت، 6/4590-4591.

[56] ينظر: بناء المجتمع الإسلامي، نبيل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، 1998م، 246.

كما يجب على الحكومات أن تقوم بواجبها السياسي والاقتصادي والاجتماعي في حسن إدارة البلاد من خلال حزم الرأي، وحسن السياسة والتدبير، وتسخير جميع الامكانات اللازمة لتذليل الصعاب وإغاثة الناس من الجوع والهلاك، ولها أن تسترشد بتجارب وخبرات الأمم السابقة في كيفية إدارة الازمات والكوارث، ولنا فيما قصه الله علينا من قصة سيدنا يوسف "عليه السلام" في كتابه العزيز، حين حفظ للناس طعامهم في سني القحط والجفاف، وقسّمه بين الناس بقدر الحاجة، وفي هذا دلالة على أن الأئمة في كل عصر أن يفعلوا مثل ذلك إذا خافوا هلاك الناس من الجفاف[57].

2-الواجبات الكفائية: حثت الشريعة الغراء على التحلي بالأخلاق الفاضلة والتعاون على البر والتقوى، فالشريعة توازن بين واجبات الفرد ومسؤولياته وبين واجبات المجتمع، وهو الواجب العيني على أفراد المجتمع، والواجب الكفائي على المجتمع المسلم، والوجبات الكفائية تقع على عاتق المجتمع ككل فإذا قام بها البعض سقط عن الباقي، وإلا وقع المجتمع جميعه في الإثم.

ومدح رسول الله ﷺ الاشعريين الذين كانوا يتقاسمون الطعام فيما بينهم أذا وقعوا في الشدة والضيق، فقد قال عنهم ﷺ: {إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا[58] فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ

---

[57] ينظر: أحكام القرآن، أحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، دار احياء التراث العربي، بيروت، د ط، 1405هـ، 391/4.

[58] أَرْمَلُوا: أي فني زادهم وأصله من الرّمل كأنّهم لصقوا بالرّمل من القلة. ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، د ط، 1379هـ، 130/5.

جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِى ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّى وَأَنَا مِنْهُمْ}[59].

ومن أبرز مظاهر الواجبات الكفائية هو وجوب الإنفاق من قبل الأغنياء على الفقراء والمساكين والعاجزين عن الكسب من أقربائهم، فأوجب الشارع أن يتعاضد أهل كل حي فيما بينهم، ويعيشوا في تكافل وتراحم، فيساعد غنيهم فقيرهم، ويرأف كبيرهم على صغيرهم، ويسدّ الشبعان منهم الجائع، وهذا التكافل بين أبناء الحي الواحد قرره بعض الفقهاء، إذ ذهبوا الى أنّه ((فُرِض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك، إن لم تقم الزكوات بهم، ولا في سائر أموال المسلمين، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لا بُدّ منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يكنّهم من المطر، والصيف والشمس وعيون المارّة))[60].

والمجتمع يجب عليه وجوباً كفائياً أن يقوم بحاجة الفقراء والمعوزين في أوقات الأزمات من خلال مساعدة الفقراء وإغاثة الملهوف ومساعدة المساكين وسدّ حاجاته المادية والمعنوية، وذلك من خلال إخراج الزكاة والصدقات وغيرها من صور هذه الإغاثة، فقد جوّز بعض الفقهاء إخراج الزكاة قبل الحول، وحتى قبل عام أو عامين،

---

[59] صحيح مسلم، باب من فضائل الأشعريين، رقم الحديث: 6564، 171/7.

[60] المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الفكر – بيروت، د ط، د ت، 281/4.

ولا سيما في أوقات الشدة والمجاعة، والكوارث ونحو ذلك مما يتحقق به مصالح العباد، وما يرفع الشدة والبأساء عن الفقراء[61].

ولا يكتفى بأموال الزكاة، بل هناك مجالات وحقوق ينبغي أن يتصدق وينفق ماله فيها، ولو كان قد أنفق زكاة ماله، فقد قال القرطبي: ((وأتفق العلماء على أنّه إذا نزلت بالمسلمين حاجة بعد أداء الزكاة فإنّه يجب صرف المال إليها))[62].

الخاتمة

من خلال ما تمّ التطرق اليه في طيات هذا البحث، توصلنا الى النتائج الآتية:

1-التكافل الاجتماعي قيمة دينية وأخلاقية وإنسانية تؤكدها الأديان، ويحثّ عليها الإسلام.

2- التكافل الاجتماعي ضرورة اجتماعية، وواجب ديني؛ لاستمرار الحياة، وصلاح أحوال الناس.

3-إشعار الفرد بأنّه جزء من المجتمع وحقوقه مصونة اجتماعيا وفق المنظور الإسلامي.

4-للإنسان كرامة وحقوق في الإسلام من غير النظر الى لونه أو جنسه أو دينه، إلاّ من خلال العمل الصالح.

---

[61] ينظر: موسوعة الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، ط1، 2009م، 66/3.

[62] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 242/2.

5-خلق روح الألفة والمحبة والتكافل والتساند بين مختلف أفراد وجماعات المجتمع الإسلامي.

6-خلق جو من التوازن بين الأفراد والجماعات، من خلال دور الفرد تجاه الجماعة، ودور الجماعة تجاه الفرد.

7-تعزيز جو من الرحمة والألفة في المحيط الأسري والقرابي.

8- الوعي بقيمة التكافل الاجتماعي ودوره في تحقيق السعادة للبشرية.

9- تعزيز مظاهر التكافل الاجتماعي في المجتمع الاسلامي مثل: العدالة الاجتماعية، والمساواة، والتعاون الجماعي، وغير ذلك.

المصادر والمراجع:

1-أحكام القرآن، أحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، دار احياء التراث العربي، بيروت، د ط، 1405هـ.

2-الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط5، 1999م.

3-أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، دار مكتبة الحياة، د ط، 1986م.

4-الإسلام حضارة الغد، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1995م.

5-الإسلام والتنمية الاجتماعية، محسن عبد الحميد، دار المنارة، جدة – السعودية، ط1، 1989م.

6-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.

7-بناء المجتمع الإسلامي، نبيل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، 1998م.

8-بيئات التربية الإسلامية، عباس محجوب، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط12، العدد 46، ربيع الآخر- جمادى الأولى – جمادى الثانية، 1400هـ.

9-التربية الاجتماعية في الإسلام، عبد الرحمن النّحلاوي، دار الفكر، دمشق، 1427هـ.

10- التربية التعاونية من منظور إسلامي وتطبيقاتها التربوية، طلال عقيل عطاس الخيري، رسالة ماجستير جامعة أم القرى مكة المكرمة، كلية التربية – قسم التربية الإسلامية والمقارنة، السعودية، 1424- 1425هـ.

11- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1، 1998م.

12- التكافل الاجتماعي في الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1991م.

13- التكافل الاجتماعي في الفقه الإسلامي مقارن بنظام المملكة العربية السعودية، عبد الله محمد الطيار، مكتبة المعارف، الرياض، د ط، 1406هـ.

14- التكافل الاجتماعي في القرآن الكريم، تحليل اقتصادي وفقهي، ربيع محمد الروابي، مركز صالح كامل، القاهرة، د ط، 1419هـ.

15- التكافل والضمان الاجتماعي في الإسلام، سعيد عبد السلام حبيب، كتب إسلامية، العدد 32، المجلس الأعلى للشؤون، القاهرة، 1963م.

16- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت ودار الأفاق الجديدة بيروت، د ط ، د ت.

17- الجامع المسند الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، تحقيق: محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة، د م، ط1، 1422هـ.

18- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964م.

19- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، عالم الكتب، الرياض، دط، 2003م.
20- الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي حَبَنَّكَة، (المتوفى: 1425)، دار القلم، دمشق، ط1، 1998م.
21- الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم، عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط1، 1998م.
22- حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط1، 1419هـ.
23- الحل الإسلامي فريضة وضرورة، يوسف القرضاوي، سلسة حتمية الحل الإسلامي (2)، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، 1974م.
24- شرح فتح القدير، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي (681هـ)، دار الفكر، بيروت، دط، دت.
25- غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1992م.

26- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، د ط، 1379هـ.
27- الفروق - أنوار البروق في أنواء الفروق، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (المتوفى: 684هـ)، عالم الكتب، د ط، د ت.
28- الفقه الإسلامي وأدلته (الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها)، وهبة مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق - سوريا، ط4، دت.
29- فقه الجهاد - دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته في ضوء القرآن والسنة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، د ط، 2009م.
30- فقه النوازل، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد (المتوفى : 1429هـ)، مؤسسة الرسالة، ط1، 1996م.
31- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، بيروت - القاهرة، ط17، 1412هـ.
32- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
33- المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1981م.

34- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، د ط، 1995م.

35- المحلى بالآثار، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، دار الفكر – بيروت، د ط، د ت.

36- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ - 2001م.

37- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي – حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1988م.

38- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، أحمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، 1982.

39- مقتطفات من كتاب من روائع حضارتنا، مصطفى بن حسني السباعي، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1999م.

40- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392م.
41- موسوعة الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، ط1، 2009م.
42- نحو مجتمع إسلامي، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، د ط، د ت.